رثاء الدكتور شميل

حكيم الشرق ترحّلُ مطمئناً   عن الدنيا وتلقَ وجهَ ربك
وتوحش يا ابن ابراهيم منا   نفوساً طالما أنست بقربك
عليك قلوب اهل الشرق طرّاً   تنوح فكيف حال قلوب صحبك
تذوب اسى عليك وليس بدعاً   فقد كانت موّلهةً بحبك
صبرتَ على النهوض بنا حياةً   تناول ذوبها حباتِ قلبك
فاعقانا اهتمامك ما اكترثنا   لرتقك صدع غفلتنا ورأبك
وذنبك فيه أنك لم تصوّبْ   خمولَ الشرقِ . هذا كل ذنبك
كبيراً كنتَ في قولٍ وفعلٍ   ونفسٍ ضاق عنها رحبُ جنبك
وفي جاهٍ تليدٍ حزتَ منهُ   طريفاً زاد فيه علوُّ كعبك
وفي نسبٍ كما تدري عريقٍ   وفي حسبٍ مكانته بحسبك
وفي قلمٍ يمرُّ على طروسٍ   ويوحي للملا آيات لبك
فينظم تارةً دررَ القوافي   وطوراً عسجدَ المنثورِ بسبك
وكم ببنانه قوّمتَ أمتاً   وجُبتَ ظلامةً بشفارِ عضبك
وذدتَ بطبك الاسقام عنا   وشوكتها خضدتَ بحدّ ضربك
وصنتَ حمى الحقيقة غير خاشٍ   ملامةَ مائقٍ يلهو بعتبك
وحاربتَ الجمود فظلَّ يلقى   ويصلى نصفَ قرنٍ نارَ حربك
ولم ترهب لاهل الجهل حزباً   لأنّ العلم كان ظهيرَ حزبك
سموتَ به لانك لستَ منهم   ولم يكُ دأبهم فيه كدأبك
نعشتَ عميد شعبك ساعياً في   إنارتهِ ومتَّ فقيد شعبك
بكتك الشعب بعدُ شربت كأس الـ   حِمام وغصّت الدنيا اشربك
أسحّتْ عينها معنا فكانت   مشاركةً لنا في فرض ندبك
ستروي ما جنينا عن مزايا   نهاك ومدهشات صفات قلبك
وإنْ خفنا ضلالاً في دياجي الـ   مباحث نهتدي بضياء كتبك
ولا ننساك بل نُبقيك حياً   بتاريخ ونذكر فضل طبك

١٩١٧ اسعد داغر